

تفسير البحر المحيط

@ 285 @ وَءَاتَيْنَاهُمْ مَّا كَانُوا يَشَاءُونَ { أي ملك سليمان قاله : ابن عباس . وقال مجاهد : هو النبوة . وقال همام بن الحرث وأبو مسلمة وابن زيد هو التأيد بالملائكة . وقيل : الناس هنا الرسول ، وأبو بكر ، وعمر . والكتاب : التوراة والإنجيل أو هما ، والزبور أقوال ، والحكمة النبوة قاله : السدي ومقاتل . أو الفقه في الدين قاله أبو سليمان الدمشقي . وقيل : الملك العظيم هو الجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين ذكره الماوردي . وقال الزمخشري : أم يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله النصر والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم ، فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله لكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم) ، وأنه ليس ببدع أن يؤتاه الله مثل ما أوتى أسلافه . وعن ابن عباس : الملك في آل إبراهيم ملك يوسف ، وداود ، وسليمان ، انتهى كلامه . وهو كلام حسن . .

{ فَامْنَاهُمْ مَّا نَافَعَهُمْ وَآمَنَ بِهِمْ وَكَلَّمَ اللَّهُ زَكَرِيَّا إِذْ هُوَ قَائِمٌ { أي : من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ، ومنهم من كفر كقوله : (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) قاله السدي : أو فمن آل إبراهيم من آمن بالكتاب ، أو فمن اليهود المخاطبين بقوله : (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) من آمن به أي بالقرآن ، وهو المأمور بالإيمان به في قوله : بما نزلنا قاله مجاهد ، ومقاتل ، والفراء ، والجمهور ولذلك ارتفع الطمس ولم يقع . أو فمن اليهود من آمن بالفضل الذي أوتيه الرسول صلى الله عليه وسلم) أو العرب على ما تقدّم . أو فمن اليهود من آمن به ، أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم . أو فمن اليهود من آمن برسول الله ، ومنهم من أنكر نبوته . والظاهر أنه تعالى لما أنكر على اليهود حسدهم الناس على فضل الله الذي آتاهم ، أتى بما بعده على سبيل الاستطراد والنظر والاستدلال عليهم بأنه لا ينبغي لكم أن تحسدوا فقد جاز أسلافكم من الشرف ما ينبغي أن لا تحسدوا أحداً . .

وتضمنت هذه الآية تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم) في كونهم يحسدونه ولا يتبعونه ، فذكر أنزلهم أيضاً مع أسلافهم وأنبيائهم انقسموا إلى مؤمن وكافر ، هذا وهم أسلافهم فكيف بنبي ليس هو منهم ؟ . .

وقرأ ابن مسعود وابن عباس ، وابن جبير ، وعكرمة ، وابن يعمر ، والجحدري : ومن صد عنه برفع الصاد مبنياً للمفعول . وقرأ أبي وأبو الحوراء وأبو رجاء والحوقي ، بكسر الصاد مبنياً للمفعول . والمضاعف المدغم الثلاثي يجوز فيه إذا بني للمفعول ما جاز في باع إذا

بني للمفعول ، فتقول : حب زيد بالضم ، وحب بالكسر . ويجوز الاشمام . والصد ليس مقابلاً للإيمان إلا من حيث المعنى ، وكان المعنى وإعلم : فمنهم من آمن به واتبعه ، ومنهم من كذب به وصد عنه . .

{ وَكَفَىٰ بِرَجَاهِنَّ سَعِيرًا } أي احتراقاً والتهاباً أي لمن صد عنه . وسعيراً يميز وهو شدة توقد النار . والتقدير : وكفى بسعير جهنم سعيراً ، وهو كناية عن شدة العذاب والعقوبة . .

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا } لما ذكر قوله : ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيراً أتبع ذلك بما أعد الله للكافرين بآياته ، ثم بعد يتبع بما أعد للمؤمنين ، وصار نظير وتسود وجوه ، (فأما الذين اسودت وجوههم) . وقرأ الجمهور نصليهم من أصلى . وقرأ حميد : نصليهم من صليت . وقرأ سلام ويعقوب : نصليهم بضم الهاء . .

{ كُلًّا مَّا نَصَّبَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلِّهَا هُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا } انتصاب على كل الطرف لأنه مضاف إلى ما المصدرية الظرفية ، والعامل فيه بدلناهم ، وهي جملة فيها معنى الشرط ، وهي في موضع الحال ، والعامل فيها نصليهم . والتبديل على معنيين : تبديل في الصفات مع بقاء العين ، وتبديل في الذوات بأن تذهب العين وتجيء مكانها عين أخرى ، يقال : هذا بدل هذا . والظاهر في الآية هذا المعنى الثاني . وأنه إذا نضح ذلك الجلد وتهري وتلاشى جيء بجلد آخر مكانه ، ولهذا قال : جلوداً غيرها . قال السدي : إن الجلود تخلق من اللحم ، فإذا أحرق جلد بدله الله من